ذاتك أمام الله

عن كتاب انطلاق الروح

للبابا شنوده الثالث

ان كانت المحبة هى الوصية الأولى فى المسيحية ، فان انكار الذات هو الطريق الأول الى المحبة . انك لا تستطيع مطلقا أن تحب الله و الناس ، طالما أنت تهتم بذاتك و لذاتك . لذلك عليك أن تنطلق أولا من هذه الذات ، فقد قال السيد له المجد : من أراد أن يتبعنى فلينكر ذاته و يحمل صليبه و يتبعنى (مر 8 : 38) ... و هكذا جعل انكار الذات أول كل شئ .

ليكن هدفك اذن يا أخى الحبيب هو اخفاء ذاتك فى الله ، بحيث لا يكون لك وجود مستقل عنه ، و لتقل كما قال معلمنا بولس الرسول : " لكى أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى " (غل 2 : 20) .

ان أردت أن يكون لك مجد ، فليكن مجدك من الله و عند الله ، كرر هذه الآية دائما : " مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك " (يو 17 : 5) . لا تبحث عن مجدك فى العالميات " فالعالم يبيد و شهوته معه " أما أنت فابن الله ، و أما أنت " فهيكل الله و روح الله حال فيك " لست من دم و لا مشيئة جسد و لا مشيئة رجل بل من الله ولدت " روحك نفخة من الله ، نسمة من فيه ... و أنت فى كل قداس تتناول جسد الله و دمه ، و الله يريدك أن تتحد به ، تثبت فيه ، فلماذا اذن تترك هذا المجد العظيم كله ، و تبحث عن مجدك فى التراب ؟

لماذا يهمك رأى الناس فيك ، فتسر بمديحهم . و تدافع عن نفسك ان هاجموك ، و تتسول رضاهم بحديثك عن نفسك ؟ أما زلت يا أخى تحب التراب و مجد التراب ؟ أما زالت نفسك تمثالا تقدم له الذبائح و القرابين ، انكر ذاتك ، و ركز محبتك كلها فى الله وحده . قل كما قال يوحنا المعمدان " ينبغى أن ذاك يزيد وانى أنا أنقص " (يو 3 : 30) . اعلم اذن أنك سوف لا تنقص الا الشوائب التى تعكر نقاوة عنصرك ، سوف لا تنقص الا المجد العالمى ، ذلك التراب الذى علق بك ، و الذى ينبغى أن تنفضه لترجع نظيفا كما خلقك الله و كما يريدك دائما أن تكون .

هذا من جهة علاقتك بالناس ، و لكنى أريد أن أخاطبك أيضا من جهة نظرتك الى نفسك و موقفك أمام الله . ان أردت لروحك أن تنطلق فقف أمام الله كلا شئ ، انكر علمك و حكمتك ، انكر ذكاءك و خبرتك ، و قف أمام الله كجاهل لا تعرف شيئا . لست

أقصد أن تدعى الجهل أو تتظاهر به ، فالله لا ينخدع و لا يحب المدعين ، انما اعتقد يقينا – فى تصريف كل أمر – أن ذاتك ينبغى أن تختفى ليظهر المسيح ، ليس أمام الناس فحسب ، و انما أمام نفسك أيضا . قل له يارب انى أحكم حسب الظاهر ، و قل اه يا ربى انى ضعيف لا أستطيع مقاومة الشياطين . قل له أيضا ان النتائج فى يده ، و اطلب منه أن يتدخل فيرشدك ، أو يسكن فيك و يعمل بك . و عندما يتم الأمر اشكر الله لأنه هو الذى عمل و ليس أنت . و عندما يأتى الناس ليمدحوك على فعلك ، لا تفتخر و لا تتظاهر بالتواضع ، انما اتخذها فرصة أن تجلس معهم و ترنم ذلك المزمور الخالد " لولا أن الرب كان معنا ، فليقل اسرائيل لولا أن الرب كان معنا ، حين قام الناس علينا ، لابتلعونا و نحن أحياء ... اذن لغرقنا فى الماء و جازت نفوسنا السيل " (مز 123) .

و عندما تعرض لك خطية ، لا تثق بقوة روحك ، و لا بماضيك فى الانتصار " فقد طرحت كثيرين جرحى و كل قتلاها أقوياء " (أم 7 : 26) انما اعتقد أن النصرة من عند الله ، و ان تخلى عنك فى أبسط الخطايا فسوف تشبه أهل سدوم . انما رتل ذلك المزمور الجميل . " ... و أنت عرفت سبيلى ... فى الطريق التى أسلك اخفوا لى فخا . نظرت الى اليمين و أبصرت و ليس من يعرفنى . ضاع المهرب منى و ليس من يسأل عن نفسى . فصرخت اليك يا رب و قلت أنت هو ملجأى و رجائى فى أرض الأحياء ... نجنى من مضطهدى لأنهم قد اعتزوا أكثر منى " (مز 141) .

يا أخى الحبيب . انك لست شيئا ، فاعترف بهذا أمام الله و أمام نفسك ، و كلما فكرت أنك تستطيع عمل شئ ، ارجع الى ذاتك مرة أخرى ، و قل : من أنا يارب حتى أقف أمام فرعون و اخرج بنى اسرائيل من مصر ! (خر 3 : 11) فان أقنعك الله بأنه سيكون لك فما ، و أنه سيتكلم على لسانك ، و أنك سوف لا تكون الا أداة ، حينئذ استمر فى حياتك . ان سرت فى وادى ظل الموت فسوف لا تخاف شرا ، و ان قام عليك جيش ففى ذلك ستكون مطمئنا . حينئذ أذكرنى أنا التراب النجس ، لكى نتقابل معا ، هناك ...